## المحاضرة (11) رواد علم الاجتماع (7) ماكس فيبر(1864-1920)

### XX -ماكس فيبر: (1864-1920):max weber

**1-خلفية تاريخية:**

عالم اجتماع ألماني، ويعتبره البعض من أعظم المفكرين ليس فقط في مجال علم الاجتماع وإنما أيضا في علم الاقتصاد، ولد بايرفرت بألمانيا، من أسرة بروتستانتية، عرف أجداده لأبيه بأنهم لوثريون، ، والده كان محاميا عمل بالسياسة في عهد بسمارك، وكان عضوا في الرايشناخ، الأمر الذي اثر على فيبر وجعله يهتم بالسياسة، ثم بدأ الاهتمام بدراسة الاقتصاد منذ 1882، حيث التقى بأفكار ادم سميث، حصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد وكان موضوع الرسالة" الشركات التجارية في العصور الوسطى"، قام بتدريس القانون في جامعة برلين، كما عمل أستاذا للسياسة والقانون على التوالي عامي 1894-1897، ثم أصيب بانهيار عصبي أقعده عن النشاط الأكاديمي عام 1900، ولم يستطيع العودة إلا عام 1918، ولم يحترف فيبر علم الاجتماع إلا قبل وفاته بعامين، توفي عام 1920.من أهم مؤلفاته، الاقتصاد والمجتمع.

قدم فيبر إسهامات كبيرة إلى نظريات علم الاجتماع، واشتهر بدراسته عن الرأسمالية وعلاقتها بالدين، وكانت اغلب دراساته ذات طابع اقتصادي، وان كانت قد قامت على أسس نفسية اجتماعية، ولقد اهتم بدراسة الفعل الاجتماعي وتحديد مجراه وآثاره، ولذا اعتبره البعض من الملهمين الأوائل لنظرية الفعل الاجتماعي والتحليل البنائي الوظيفي. وقد صنف ريمون ارون أعمال فيبر كما يلي: دراسات في المناهج والنقد والفلسفة(دراسات تنتمي إلى مجال نظرية المعرفة)، وتسعى إلى تطوير مدخل يفسر العلاقة بين العلم والفلسفة. وأعمال تاريخية(دراسة علاقات الإنتاج في الزراعة في العالم القديم، ودراسة في التاريخ الاقتصادي العام). دراسات في علم الاجتماع الديني، ودراسة هامة بعنوان الاقتصاد والمجتمع.

وقد كان لأعمال فيبر تأثيرا كبيرا على الفكر الوظيفي المعاصر، إذ أثرت أعماله على تالكوت بارسونز، فبناء على تعريف فيبر للفعل الاجتماعي وتركيزه على المعنى الذاتي لسلوك الفرد استطاع بارسونز أن يصوغ نظريته عن الموضوع ذاته، وأخذ وجهة نظر فيبر عن الفعل الاجتماعي، إضافة إلى ذلك فإن اتجاهات بارسونز لبناء نظام تصنيفي من المفاهيم المحددة عن الفعل الاجتماعي موروثة عن النمط المثالي لفيبر، كما استعار بارسونز من آراء فيبر أهمية الأفكار في تشكيل شخصية الفرد.

**2-مفهوم علم الاجتماع عند فيبر:**

" علم يحاول أن يصل إلى الفهم المفسر للفعل الاجتماعي من أجل أن يصل إلى تفسير سببي لمجراه وآثاره". وقد حاول فيبر تفسير معنى الفعل محل دراسة علم الاجتماع، فأكد أن الباحث لا يهتم بالفعل إلا إذا كان له معنى، والمعاني المرتبطة بالفعل يمكن أن تكون من نمطين: أولا المعنى القائم فعلا المتضمن في الحالة محل الدراسة، والثاني المعنى المدرك من الناحية النظرية والذي يمكن أن ينسبه إلى فاعل مفترض. ويعرف عبد المعطي الفعل الاجتماعي باعتباره نتاجا للفعل للمعنى الذاتي الذي يخلعه الأفراد على سلوكهم وسواء كان المعنى واضحا أو كامنا، ويكون الفعل اجتماعيا بالقدر الذي يضع فيه الفاعل سلوك الآخرين في حسبانه.

يتضمن مفهوم فيبر للفعل الاجتماعي ومجال دراسته ثلاث مصطلحات أساسية:

-أن نفسر وان نفهم الأهمية أو المعني الذاتي .

- أن ندرك وننظم المعنى الذاتي للفعل الذاتي ونصوغه في مفاهيم.

- وان نشرح بصورة سببية السلوك الإنساني.

**3- الفعل الاجتماعي من المنظور الفيبري:**

وفقا للمنظور الفيبري وتعريفه للفعل الاجتماعي، لابد من فهم السلوك الاجتماعي أو الظواهر الاجتماعية على مستويين: الأول أن نفهم الفعل الاجتماعي على المستوى المعنى للأفراد أنفسهم at the level of meaning، والثاني أن نفهم الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعيat the level of collectivity بين جماعات الأفراد.

ولنفهم فعل الفرد وسلوكه لا بد من معرفة دوافع الفرد ونواياه والمعاني الذاتية التي يخلعها على أفعاله والتي لم تكن خلف سلوكه، أي لا بد من فهم الفعل أو السلوك على المستوى الفردي، وبالطريقة ذاتها لابد من النظر إلى الدوافع والأسباب والنوايا التي تكمن وراء سلوك الجماعة التي يعد الفرد عضوا فيها.

**4- أنماط الفعل الاجتماعي:**

لقد حدد فيبر أربعة أنماط للفعل الاجتماعي يمكن الاستعانة بها في بناء النماذج المثالية وهي:

-الفعل العقلي: توجهه غايات محددة ووسائل واضحة: فالفاعل هنا يضع في اعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويما عقليا( المهندس والمضارب).

- الفعل العقلي الذي توجهه قيمة مطلقة:هنا يكون الفرد مدركا وواعيا بالقيم المطلقة التي تحكم الفعل وهي قيم يمكن أن تكون أخلاقية أو جمالية أو دينية.

- الفعل العاطفي: وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل( يختار الفرد الوسائل لا على أساس صلتها بالغايات أو القيم، وإنما باعتبارها تنبع من تيار العاطفة).

- الفعل التقليدي: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم فهو يعبر عن استجابات آلية اعتاد عليها الفاعل، ولا شك أن ضربا من هذا السلوك سوف يظل دائما على هامش الفعل الذي توجهه المعاني. وتحتل أنماط الفعل الاجتماعي أهمية كبرى في النسق السوسيولوجي الذي قام بصياغته فيبر.

**5- النماذج المثالية:**

تتطلب دراسة الفعل الاجتماعي في نظر ماكس فيبر أداة منهجية سماها النموذج المثالي. و" تستند دعائم التصور النظري لفيبر على مسألتي النموذج المثالي ونظرية التنظيم، وبالنسبة للنموذج المثالي فلقد أشار إلى أن أفضل طريقة في دراسة المعاني الذاتية للظواهر الاجتماعية تتمثل في استخدام النموذج المثالي. وهذا النموذج ليس فرضا وإنما يوجه الباحثين لوضع الفروض، وليس هو وصفا للواقع، وإنما يستهدف توفير الوسائل للتعبير عن الواقع. والنموذج المثالي من وجهة نظر فيبر عبارة عن بناء عقلي من المفاهيم المجردة والذي لا يوجد له نظير في الواقع الاجتماعي، ويصمم هذا النموذج لكي يساعد على فهم الواقع التجريبي لظاهرة معينة أو عدة ظواهر؛ وبالتالي يمكن استخدام النموذج المثالي كأداة من أجل

المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر أو لقياس مدى التقارب الظاهرة المعطاة من النمط المثالي. إذن يمكن القول بأن النموذج عند فيبر مفهوم محدد نقارن به المواقف الواقعية في الحياة بالمواقف المثالية، كما يمكننا من الحصول على العلاقات السببية بين العناصر التي يتكون منها النموذج المثالي. هكذا كان منهج فيبر إذن عبارة عن صياغة أو تركيب لعلاقات غير واقعية لتحليل علاقات تاريخية واقعية، أي معرفة الحقيقة والواقع من خلال مفاهيم وتجريدات.

أما بالنسبة للتنظيم الاجتماعي فهو تقنين للفعل الاجتماعي في شكل مؤسسات يأخذ معناه من السياق التنظيم الاجتماعي العام، ويلاحظ أن مناقشة فيبر للتنظيم الاجتماعي اتجهت إلى الجانب السياسي للتنظيم ويعني ذلك السلطة واتخاذ القرارات في التنظيم الاجتماعي.

**6- تصور فيبر للبيروقراطية:**

-" تعني البيروقراطية إلغاء الطابع الشخصي من حيث توزيع الأعمال أو طرق أدائها أو تقييم الأداء".

-"وهي مجموعة النظم واللوائح التي تحدد السلوك التنظيمي كما يجب أن يكون اعتقادا بأن هذا السلوك يمثل أفضل سلوك يمكن أن يمكن التنظيم من تحقيق أهدافه، واعتقادا بأن هذه اللوائح هي ضمان لحماية التنظيم من الفساد والتسيب والانحراف".

-وتعني "البناء الاجتماعي المتسلسل لإدارة التنظيمات الضخمة بطريقة سليمة وبكفاءة وفعالية وبطريقة غير شخصية".

وترتبط البيروقراطية بالمنظمات الكبيرة الحجم، وتتميز هذه المنظمات بتعقد المشكلات التنظيمية والإدارية التي تواجهها، ومن ثم تعتبر البيروقراطية وفقا للمعنى السابق ضرورة حيوية لجميع المنظمات كبيرة الحجم.

وترتكز تحليلات فيبر للبيروقراطية على تصوره لطبيعة علاقات القوة في المجتمع، كما اهتم بنموذج لعلاقة القوة أو ما سماه بالسلطة، فممارسة السلطة على مجموعة من الأفراد تتطلب وجود هيئة إدارية تمتلك القدرة على تنفيذ الأوامر وتحقيق الصلة بين الرؤساء والمرؤوسين، وفي هذا الإطار حاول فيبر أن يضع نماذج السلطة وفقا لمعيارين هما: الاعتقاد في شرعية السلطة ووجود الجهاز الإداري الملائم.

**7- أنواع السلطة:**

-السلطة الملهمة: charismatic authority- السلطة التقليدية:tradional authority- السلطة القانونية: legal authority.

**8-علم الاجتماع الديني:**

حاول فيبر أن يناهض في هذه الدراسة الفكر الماركسي في أساسه وجوهره في دراسته المشهورة الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، من خلال قيامه بدراسة مقارنة تناولت الأديان الكبرى والعلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية من جهة والاتجاهات الدينية من جهة أخرى.( أي كيف انبثق النموذج الاقتصادي).

**9-المذهب البروتستانتي وظهور الرأسمالية الحديثة مقتطفات مترجمة من البحث:**

*"...إن النمط الفريد من نوعه للرأسمالية الغربية المعاصرة قد تأثر بشكل شديد بتطور ونشوء القدرات والإمكانيات الفنية، والقائمة بشكل مبدئي على حساب الإحصاء والعوامل الفنية والتقنية ذات الأهمية الأكبر، ولكن يعني هذا إنها قائمة على الخصائص الفريدة من نوعها للعلوم الحديثة، وبخاصة العلوم الطبيعية المبنية على المواد الرياضية، وعلى التجريب العقلي والمضبوط، ومن ناحية أخرى تحظى عملية تطوير هذه العلوم والتقنيات القائمة عليها، تحظى بعوامل محفزة ومنبهة نابعة من هذه المصالح الرأسمالية بكل ما فيها من تطبيقات اقتصادية عملية. والحق يقال بأن أصل أصول العلوم الغربية لا يمكن أن نعزوها ونرجعها لمثل هذه المصالح والاهتمامات، فالعمليات الحسابية القائمة حتى بموجب الكسور العشرية والعمليات الجبرية قد جرى تطبيقها في بلاد الهند حيث تم ابتكار واختراع النظام العشري، والذي بدأت الاستفادة منه عن طريق تطور الرأسمالية في بلاد الغرب، في الوقت الذي لم يؤد ذلك النظام في الهند إلى ظهور علم الحساب المعاصر ولا إلى ظهور مسك الدفاتر المحاسباتية. وكذلك لم يتحدد أصل مادة الحساب والميكانيزمات المصاحبة لها عن طريق المصالح والاهتمامات الرأسمالية. ولكن الانتفاع والاستفادة الفنية التقنية للمعرفة العلمية – وذات الأهمية الجوهرية في توافر شروط الحياة المناسبة للكم الأعظم من الناس – قد شجعتها وساندتها الاعتبارات الاقتصادية بكل تأكيد، والتي كانت تميل إليها وتفضلها المجتمعات الغربية، وانبثق ذلك التشجيع والتأكيد من خصوصيات تركيبة المجتمعات الغربية الاجتماعية..."*.

*"...ومن بين تلك الأقسام التي لا نشك بصحتها وبأهميتها: التراكيب العقلانية الخاصة بالأمور القانونية، وبالأمور الإدارية...وقد توافر هذا النظام الشرعي/ القانوني وهذه الإدارات الرسمية للأنشطة الاقتصادية في دولة مقارنة ذات قوانين شرعية وذات تكامل رسمي في نصف الكرة الغربي فقط...فهناك مثلا، نزعة أو اتجاه عقلاني خاص بالتأمل والتفكير الصوفي(خاص بالحركة الصوفية)،*

*وهو بمعنى: ذلك الاتجاه والميل الذي ننظر إليه من جوانب مختلفة من الحياة، والذي هو أصلا لا عقلاني...ولذلك سيكون همنا الأول هو إيجاد حل وتفسير جيني وراثي للميزة الخاصة التي تنفرد بها النزعة العقلانية الغربية...ويتوجب أن تكون أي محاولة لتفسير ولتوضيح ولشرح تلك الأسباب آخذة في اعتبارها الأهمية الجوهرية للعامل الاقتصادي، وأن تأخذ في اعتبارها فوق هذا كله الشروط والظروف الاقتصادية، وفي الوقت نفسه، يتوجب أن لا يتغاضى الارتباط المعاكس عن مثل ذلك الاعتبار، فبالرغم من أن تطوير ونشوء النزعة العقلانية يقوم ولو بشكل جزئي، على التكنولوجيا العقلانية وعلى القانون، إلا انه يتحدد في الوقت نفسه بواسطة القدرات وبواسطة اتجاهات وميول البشر على تبني أنماطا محددة من السلوكيات العقلانية العملية. وعندما تتم إعاقة وعرقلة هذه الأنماط بواسطة المعيقات الدينية الروحية، فسيواجه تطوير السلوكيات الاقتصادية العقلانية تلك المقاومة والممانعة الداخلية الجادة والحاسمة أيضا. أما بالنسبة للقوى الغيبية، والدينية والسحرية، والمبادئ والمعايير الخاصة بالواجبات والحقوق والقائمة عليها، فقد كانت في الماضي، ودائما، من بين المؤثرات المبدئية ذات الأهمية القصوى في التصرفات والسلوكيات البشرية..."*.

*"...وبما أن الجانب البيوريتاني البريطاني منبثق أصلا من التيار الكالفيني(مذهب الراهب المسمى كالفن) هو الذي يزودنا بهذا الأساس الديني الأكثر تناسقا وثباتا بالنسبة لفكرة الدعوة إلى الله، فسنضع أحدى عناصرها الأساسية كعنصر مركزي أثناء حديثنا عن هذا الموضوع..."*

*(قول لباكستر رجل دين):" فالثروة بهذا المنظور ستكون خطرا كبيرا ووبالا على أصحابها من حيث إغراءاتها التي لا تنتهي، وان السعي والهرولة وراءها أمر مهين وعديم الفائدة عند مقارنته بالأهمية الدائمة والسرمدية في ملكوت الله عز وجل، فسيكون أمر الثروة أمر يثير الشكوك الأخلاقية" ومن ثروة عنده لا أخلاق لديه..."*

*" ...ذلك أن الاعتراض الأخلاقي الحقيقي إنما يكمن في حالة الاسترخاء والتسلية في كنز الأموال والمحافظة عليها مع أن المال مال الله... إن الثروة والأملاك تتضمن مخاطر الاسترخاء والتسلية، هذه الأمور مرفوضة تماما...أما في هذه الحياة الدنيا، فيتوجب على الإنسان*

*أن يقوم بتقوى الله وعباداته لان هذه هي الوظيفة التي خلقه الله من اجلها ما دام النهار قائما...فمضيعة الوقت، إذا ومبدئيا، أولى الكبائر القاتلة، والتي تؤدي بصاحبها إلى النار، وطول الحياة البشرية قصيرة جدا على سطح الأرض، ومن المفيد والمجدي والنافع أن يتأكد المرء من اختياراته والبدائل أمامه، ومضيعة الوقت من خلال العلاقات الاجتماعية الفضفاضة والثرثرة المبتذلة، ووسائل الراحة والاستجمام والرفاهية والنوم الأكثر من اللازم والضروري لصحة الإنسان العامة -وهي من 6 إلى 8 -ساعات لا تستحق إلا التأنيب والاحتقار الأخلاقي المطلق، وهي لا تتفق مع الكلام الذي يقوله فرانكلن الوقت من ذهب...وعلى هذا فسيكون التأمل والتفكير اللافعال واللاناجع لا قيمة له أبدا إذا كان على حساب عمل الشخص المسند إليه والمسئول عنه..."*

*"...أما بالنسبة لظاهرة تقسيم العمل في أي مجتمع ...سيؤدي إلى تحسن في الإنتاج كما ونوعا-مع تحسين وتطوير مهارات العاملين-وسيكون هذا الأمر مفيدا للمصلحة العامة...وستكون الدافعية دافعية إنسانية عامة ومجردة...ويظهر العنصر البيوريتاني المتميز في الجملة التي يقول فيها رجل الدين باكستر:" ستكون كافة الأعمال والمنجزات التي تتم خارج نطاق الدعوة الإلهية والتي يحققها بنو ادم ليست إلا مجرد أسباب وعمليات غير منتظمة وخارجة عن نطاق المألوف، فهذا سيقضي الإنسان حياته هباء منثورا وفي غفلة عن العمل و...سيحمل ذلك العامل المتخصص وزر عمله، ذلك أن هناك من يقوم بعمله بشكل منتظم ومنهم من يظل في اضطراب وسكر وشرود دائم...فالإنسان الذي بلا عمل سيفتقد إلى التنظيم، والى الشخصية ذات الوسيلة النافعة والتي يتطلبها ويدعو إليها الزهد في هذا الأمر الدنيوي..."*

*"...والحقيقة أن فائدة العمل ومنفعته، وهذه قضية ينظر إليها الله بعين الرضا والتقدير، إنما يتم قياسها أولا بمقاييس أخلاقية، وبمقاييس مدى أهميتها وأهمية السلع والحاجات التي تنتجها ليستفيد منها المجتمع...فالثروة (...) بهذا المعنى سيئة ومفسدة أخلاقية وذلك بقدر ما فيها من اغواءات تؤدي إلى الكسل، والى الاستمتاع الحرام من هذه الحياة، والحصول عليها أمر سيئ إذا كانت بهدف أن يعيش الإنسان فرحا مرحا مهملا وسائبا، ...ويوفر التركيز على أهمية التقوى والتقشف والزهد للعمل الثابت تبريرا أخلاقيا للقسم المتخصص المعاصر من العمل، وبنفس الأسلوب يبرر التفسير المنفعي(القائم على المنفعة) للحصول على الفوائد والأرباح...ولكن الغنى الفاحش أمر مرفوض ولا تقر به النظرة التقشفية والزهد..."*.

*وسيرضى الله على رجل الأعمال البرجوازي ما دام يعرف ويعمل ضمن حدود العمل الصالح والسليم وما دامت تصرفاته الأخلاقية ناصعة لا تشوبها شائبة، وان يقوم باستخدام ثروته فيما يرضي الله، وفيما لا تأتي منها الشبهات...وأخيرا ستوفر تلك القناعة بالضمان المريح الذي مفاده بان التوزيع اللامتساوي للأرزاق في هذا العالم، إنما سيكون هناك تعويض له من قبل الذات الإلهية، لان في هذه الفوارق كما هو الحال في مقدار النعمة التي يسبغها الله على عبده والتي ستكون بمثابة غايات وأهداف سرية لا يعلمها إلا الله...ومجهولة بالنسبة للإنسان...وقد تحدث رجل الدين كالفن عن هذا الموضوع قائلا: عندما يكون الناس، وجماهير العمال والمهنيين فقراء مطيعين لله وعابدين له وشاكرين له، ذلك أن جماهير الناس الرجال إنما يعملون عندما تكون لديهم حاجة ضرورية للعمل، فالحاجة هي التي تدفعهم لذلك، وكانت هذه بمثابة الصيغة ذات أهمية بالغة بالنسبة للاقتصاد الرأسمالي في فترة لاحقة ودخلت ضمن نظريات الانتفاع من الأجور المنخفضة التي كانت تدفع للعمال، - على أساس انه كلما قلت الأجور كلما زاد الله فيها البركة...وتشبعت أدبيات البحوث الصوفية الزاهدة، وبشكل طبيعي بالفكرة القائلة بأن العمل المخلص والنافع من الإيمان، حتى عندما تكون الأجور منخفضة، بالنسبة لأولئك الذين تمنحهم الحياة الدنيا الفرص الأخرى المتاحة لهم، فسيكون ذلك رضا ونعمة من الله، وعمل مبارك....(هذه الأمور) أدت إلى ظهور الطاقة والعزيمة التي أدت إلى فعاليتها وكفاءتها وظهور العقاب السيكولوجي النفسي لها من خلال معرفة وتفهم العمل على انه دعوة ودافع باطني للقيام به...وبهذا أصبح الأمر شرعيا ومبررا لاستغلال هذه الرغبة المؤكدة في العمل....وسيتم التعامل مع العمال على أساس انه دافع باطني...ومن بين العناصر الجوهرية لروح الرأسمالية المعاصرة والمنتمية كذلك إلى الثقافة المعاصرة، السلوكيات العقلانية القائمة على الفكرة الباطنية لأداء عمل ما والنابعة من روح الصوفية والتقوى المسيحية، وبما أن النظرة البيوريتانية أرادت العمل وفقا للدافع الباطني لأداء العامل، ونحن مضطرين لان*

*نوافقهم على ذلك، لان الصوفية والتقوى عندما نبعت وتحققت من خلال الدعوات الكهنوتية وتجذرت في الحياة اليومية المعاصرة، وبدأت تسيطر تلك الدعوات على أخلاقيات الدنيا الدنية، فإنما تكون قد قامت بتنفيذ الجزء المتعلق بها في بناء وإنشاء النصف الغربي الفظيع من الكرة الغربية واتجهت به نحو اقتصاد اقتصادي معاصر...وستكون تلك العلاقة القشة التي قسمت ظهر البعير..."*

*"...وبما أن النظرة الصوفية والزاهدة هي التي أخذت على عاتقها إعادة نمذجة العالم...فان السلع والمنتجات المادية هي التي اكتسبت القوة الزائدة التي لا يمكن مقاومتها لأنها سيطرت على حياة الناس سيطرة لم يسبق لها أن حدثت من قبل..فعصر التنوير والنهضة يبدو خافتا ويتلاشى شيئا فشيئا، وبدأت فكرة أداء الواجب وفقا للدوافع الباطنية للعمل تتحرك خلسة باحثة عن فريسة وعن سلب ونهب جديدة في حياتنا مثلها مثل الشيخ ذي المعتقدات والمبادئ الدينية الميتة، وحيثما تكون تلبية الدعوة والدافع الباطني لأداء عمل ما لا يمكن ارتباطها بالمثل العليا الروحية وبالقيم الثقافية، وعندما لا يحس الفرد بان هناك حاجة إلى اضطرار ودافع اقتصادي لا يقوم، فسيقوم المرء بالتخلي عن القيام بأي محاولة لتبرير عمله أبدا..."*

*"...وليس هدفي هنا أن استبدل منظورا ماديا أحادي الجانب إلى تفسير سببي روحاني أحادي الجانب مساويا له ومتبادلا معه- ذلك التفسير المتعلق بالثقافة والتاريخ، فكل من هذين العنصرين ممكن تفسيرهما بشكل متساو(*